قريب ومنهم من يجد ران لطف الله قريب ومن مجي
ذلك في العربية قول الشاعر
اري رجلا منهم سينا كانما يضم الي كشحه وكفا مخضبا
فاول الكف في معني العضو وهذا القول باطل لان هذا انما
يقع في الشعر وقد قدمنا انه لا يقال موعظة حسن انما
يقال سبحانه الموعظة الحسنة هذا مع ان الموعظة
بمنزلة الوعظ في المعني وهذا يتقارب في اللفظ واما
البيت الذي انشدته فسبيل النحاة في امثاله مرذولة شعر
وما هذه سبيله لا يخرج عليه كتاب الله تعالي الثالث
عشر ان المراد بالرحمة هنا المطر والمطر مذكر وهذا
القول يؤيده عندي ما يتلوه من قوله سبحانه وهو
الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وهذه الرحمة
هي المطر فهذا انما يثبت معنوي الا انه قد يعترض عليه
من اوجه احدها ان يقال لو كانت الرحمة الثانية
هي الرحمة الاولي لم تذكر ظاهرة لان هذا موضع الضمير
فان قيل ان ذلك ليس بواجب قلت نعم ولكنه مقتضي
وبهذا يصح الترجيح الثاني ان امكن الحمل علي العام
وهو مطلق الرحمة لا يعدل الي الخاص لا يقال
هذا اذا لم يعارض معارض يقتضي الحمل علي الخاص
كالتذكير لانا نقول هذا انما يقال اذا لم يكن للتذكير
وجه الا الحمل علي ارادة المطر كما ذكرت وليس الامر
هنا كذلك الثالث ان الرحمة التي هي المطر لا تختص
بالمحسنين لان الله تعالي تكفل برزق العباد طايعهم
وعاصيهم واما الرحمة التي هي الغفران والتجاوز
فانها تختص في خطاب الشرع بالمحسنين المطيعين

وان

وان كانت غير موقوفة عليهم لا شرعا ولا عقلا هذا
هو الحق الا ان ذلك في مذكر علي سبيل التنشيط للمطيعين
والتخويف للعاصين وهذا ابلغ لطف وقلما يتنبه
له الا الافراد ومن ثم زلت اقدام المعتزلة فانهم
يجدون في خطاب الشرع ما يقتضي تخصيص الغفران
والتجاوز والاحسان بالمطيعين فيشفون رحمة الله
عن اصحاب العصيان فيحجرون واسعا ام يقسمون
رحمة ربك والله يختص برحمته من يشا يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد هذا الذي فطرنا الله عليه من حسن
الاعتقاد واياه نسال التوفيق علينا بمنه وكرمه
وهذا الوجه يمكن الجواب عنه بانه كما جاز تخصيص
الخطاب بالغفران بالمحسنين علي سبيل الترغيب كذلك
يجوز تخصيص المطر الذي هو سبب الارزاق بهم ترغيبا
في الاحسان الرابع انك لو قلت ان مطر الله قريب لوجدت
هذه الاضافة تمجها الاسماع وتشمئز عنها الطباع بخلاف
ان رحمة الله قريب فيها انه ليس بمنزلته في المعني وهذا
الوجه يمكن الجواب عنه بامرين احدهما ان يقال لا ندعي
ان الرحمة بمعني المطر بل ان مجموع رحمة الله استعمل
مرادا به المطر والثاني ان المطر معلوم انه من جهة
الله سبحانه فاضافته اليها كانها غير مفيدة بخلاف قولك
رحمة الله فان الرحمة عامة فان للعباد رحمة خلقها الله
تعالي يتراحمون بها بينهم فاذا اضيفت الرحمة اليه سبحانه
افادت انه ليس المقصود الرحمة المضافة الي العباد ونظيره
انك تقول كلام الله لان الكلام عام ولا تقول قران
الله لانه خاص بكلام الله سبحانه والانصاف ان يقال

Copyright © King Saud University